جامعـــة الأزهـــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

مُصَنَّف "الرسالة" للشافعي

في ضوء علم الدعوة

إعداد

د. زلفى بنت أحمد الخراط

الأستاذ المشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
تخصص الدعوة والاحتساب
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الرابع والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ - يونيو ٢٠٢٥م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي
The Online ISSN 2974-4679 و I.S.S.N 2974-4660

مُصَنَّف "الرسالة" للشافعي في ضوء علم الدعوة

زلفى بنت أحمد الخراط

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ـ تخصص الدعوة والاحتساب ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم ـ السعودية.

البريد الإلكتروني :- zalkherat@qu.edu.sa

ملخص البحث: ـ

كشف البحث عن أهمية تأصيل علوم الدعوة، وبيان عناية عالِمٍ من علماء الإسلام بها منذ القرون الأولى، وسَلَّط البحثُ الأضواءَ على المسائل الدعوية الواردة في ثنايا مُصنَّف "الرسالة" للإمام الشافعي رحمه الله، واستنباط ما ورد فيه من أسرار وحِكَم دعوية، وكيف أفاد منها في إثراء المجال الدعوي، كما أظهر البحثُ اهتمامَ الإمامِ بربط المسائل الأصولية والفقهية بالقضايا الدعوية.

وكان من أهم الموضوعات الدَّعْوية التي درستُها من رسالة الشافعي: موضوع العقيدة، ومنزلة الوَحْيين كما عالجها الإمام، وكيف نظر إلى العلم الشرعي، وصلته بالدعوة والداعية، كما أشرتُ إلى ما سجّله في الوعظ والنصح، ووسيلة التعليم.

الكلمات المفتاحية: الدعوة، الرسالة، الشافعي.

References of Da'wah Science in Al Shafie's "Ar Risalah"

Zulfaa bint 'ahmad alkharaat

Department of Contemporary Doctrine and Sects - Specialty in Da'wah and Ihtisab - College of Sharia and Islamic Studies - Qassim University - Saudi Arabi .

Email :- zalkherat@qu.edu.sa

Abstract:-

This research highlights the importance of establishing a Da'wah methodology and demonstrates the attention it received from prominent Islamic scholars of the early centuries. Focusing on Imam Al-Shafi'i's "Al-Risala" (The Epistle), may God have mercy upon him, it extracts the inherent secrets and wisdoms of his approach, illustrating their contribution to Da'wah. The research further emphasizes Al-Shafi'i's dedication to connecting fundamental and jurisprudential principles with practical Da'wah matters.

Key Da'wah topics I explored in Al-Risala include: creed ('Aqidah), the significance of the Quran and Sunnah (the two revelations) in Al-Shafi'i's view, the role of Islamic knowledge and its relationship to Da'wah and the Da'i (caller to Islam), and the efforts of Da'is in delivering sermons, advice, and education.

Keywords: Da'wah, Al-Risala, Al-Shafi'i

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله العليمِ الحكيمِ، والصلاة والسلام على نبينا محمد الكريم، وعلى آله وصحبه السائرين على هديه، المُقتفِين أثرَه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله تعالى شرّف هذه الأمةَ بحمل لواء الدعوة، وحثَّهم على بَذْلِ الأنفس والأموال في سبيله، وإعلاءِ شأنه، وكان أمر الدعوة والسعي في خدمة قضاياها هما الأساس الذي أرسل به رُسُلَهُ، من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الرسل والأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم. ولقد سار على نهجهم العلمي المبين قادةُ الأمة الموفّقون، وعلماؤها الربانيون، وطلبة العلم المجتهدون، فأدَّوا الرسالة، وأرشدوا العباد، ونصحوا الأمة. وإنَّ خير ما يُعين الدعاةَ، ويُبيّن لهم درب دعوتهم، الإفادةُ من كتب علماء السلف وتراثهم الأصيل؛ ليسيروا في دعوتهم على هدى ونور، فيصلوا إلى ما ينشدونه من غايات وأهداف، على بصيرة وفَهْمٍ، تطبيقاً للنهج الرباني النبوي: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(١).

وكان من أوائل العلماء المهتمين بدراسة الفقه وأصوله الإمامُ الشافعي، وكتابه **"الرسالة"** يُعدّ عمدة الكتب الأصولية، فهو المنارة التي انطلق منها العلماء، بما احتواه من مسائل أصولية، وأحكام فقهية، واستنباطات فريدة، وفوائد دعوية.

وسبب اختياري لكتاب "الرسالة" للشافعي ما يلي:

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٨

١- "الرسالة" هي أول مؤلَّف أصولي، والإمام الشافعي هو أولُ مَنْ أصّل علم أصول الفقه، وصنّف فيه "رسالته"، وعرض فيها مناقشاته واستنباطاته(١)، فقد قدّم خطةً لهذا العلم، ومنحه كياناً مستقلاً، وعالج في ثنايا ذلك عدداً من القضايا الدعوية المهمة.

٢- قدّمَتْ "الرسالة" للمسلمين نظاماً فكرياً متيناً، قواعده مبنيّة على مدرسة أهل السنة والجماعة، فقد حَدّد الشافعي فيها أن مرجع تفاصيل هذا الدين هو الكتاب والسنة، وفصّل في مسألة الاحتجاج بهما، وجمع بين الأدلة السمعية والعقلية.

٣- رفعة شأن صاحب "الرسالة"، الأمر الذي اتفق عليه العلماء من لدن ذيوع نبوغه واجتهاده.

٤- تميّزت "الرسالة" بالأسلوب العربي الفصيح البليغ، فهو الذي أقام في بطون العرب، وأخذ أشعارها ولغاتها(٢)، واعتنى بعلوم اللغة العربية، وهي من أهم الأدوات التي يحتاج إليها الداعية في دربه الدعوي.

---

(١) انظر: مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، أبو يعقوب المروزي، ١/ ٧٣، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٢م.

(٢) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي،١٢/١٠، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

منهج البحث:

استخدمتُ في هذا البحث:

١-المنهج الاستقرائي وهو "ما يقوم على التتبُّــع لأمور جزئية؛ لاستنتاج أحكام عامة منها"(١)، وهو "عمليةُ ملاحظةِ الظواهرِ وتجميعِ البيانات عنها؛ للتوصّل إلى مبادئ عامة وعلاقات كلية"(٢).

٢-المنهج الاستنباطي وهو "ما يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة؛ لاستنتاج أحكام منها"(٣). وهو "منهجٌ أسلوبه الشرح والنظر والتفكر والتأمل والتحليل، وينتقل من الكل إلى الجزء، أو من العام إلى الخاص"(٤).

٣-المنهج التحليلي وهو "ما يقوم على وصف منظّم ودقيق لنصوصٍ مكتوبة أو مسموعة من خلال تحديد موضوع الدراسة وهدفها، ويهدف إلى تحليل المحتوى الظاهري أو المضمون الصريح للظاهرة المدروسة، ووَصْفها وصفاً موضوعياً ومنهجياً"(٥).

وقد أفَدْتُ من هذه المناهج، إذ استقرأتُ مسائل علم الدعوة المنثورة في رسالة الشافعي، ثم استنبطتُ منها بالتأمّل وتحليل المحتوى تحليلاً موضوعياً؛ لأنتهيَ إلى استثمار علم الدعوة، واستحضاره في البحث.

---

(١) البحث العلمي، حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته، عبد العزيز الربيعة، ١٧٨/١، ط٢، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٨هـ.

(٢) مناهج البحث العلمي، د. محمد سرحان المحمودي، ص٧٤، دار الكتب، اليمن، صنعاء، ط٣، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م.

(٣) البحث العلمي، حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته ١٧٨/١.

(٤) مناهج البحث العلمي ص٧٤.

(٥) المرجع السابق ص٦٠.

وقد خَرَّجْتُ الأحاديث النبوية من مظانّها: فإن كان الحديث في الصحيحين اكتفيتُ بالإشارة إلى صفحته ورَقْمه، وإن كان في غير الصحيحين أشرتُ إلى أقوال العلماء في الحكم عليه، كما وثّقتُ ما نقلتُه عن العلماء من مظانّه الأصلية، وحصرتُ كلّ ما أنقله بين علامتي تنصيص، وإن لخّصتُ القول بأسلوبي من غير نقلٍ حرفي، أشرتُ في الحاشية إلى المرجع الذي نقلتُ منه بكلمة "انظر"، وحَرَصتُ على تقسيم البحث إلى مباحث دون الفصول؛ لأن مصطلح الفصل عادة تكون صفحاته أطول عدداً، وذَيَّلتُ البحث بتفصيل معلومات الطباعة لقائمة المراجع التي عُدْتُ إليها مرتبةً ترتيباً هجائياً.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة علمية استقرأتْ القضايا الدعوية أو استنبطتْها وحلّلتْها من كتاب "الرسالة"، بَيد أنني وقفتُ على مَن درس كتاب "الرسالة" من جوانب أخرى غير الجانب الدعوي، ولا عجب في ذلك؛ إذ إن هذا الكتابَ غني بشتى المعارف والعلوم التي أفاد منها العلماء، إلى جانب العلم الرئيس الذي كُتب لأجله، ومنها:

١-التجديد الأصولي عند الإمام الشافعي، كتاب "الرسالة" أنموذجاً للباحث محمود عبدو البزيغي[(١)].

في هذه الدراسة تحدث الباحث عن إمكان التجديد في علم أصول الفقه، وكَشَف عن بعض جهود الإمام الشافعي رحمه الله التجديدية في علم أصول الفقه، واستنبط معالم التجديد الأصولي عنده من خلال مُصَنّفه "الرسالة".

(١) انظر: المجلة الدولية للدراسات الإسلامية المتخصصة، المجلد ٩، العدد ٣، ٢٠٢٤م، ص٩١

٢-منهج فهم السنة النبوية عند الإمام الشافعي في كتابه "الرسالة" للباحث عبد الحكيم الواحد(١).

تناول الباحث في هذه الدراسة أهم القواعد التي سار عليها الإمام الشافعي في كتابه "الرسالة" لفهم السنة النبوية فهماً صحيحاً، ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، وأسباب الورود، ومفهوم المخالفة، ومعرفة مختلف الحديث، وسياق الكلام الذي ورد فيه الحديث.

٣-الرسالة للشافعي في ميزان العلم للباحث محمد أمين البكري(٢).

تناولَتْ هذه الدراسة القِمَةَ العلمية لكتاب "الرسالة" للإمام الشافعي رحمه الله تعالى، فتتبّع الباحث طبعاتِ الكتاب وتحقيقاتِه، وبيّنها، ثم تحدث عن عناية العلماء بهذا الكتاب، ثم عَرَضَ أهم القضايا المعرفية التي عالجها، ثم تكلّم على مصادر الشافعي في رسالته، وطريقته في تأليفها.

بالإضافة إلى أبحاث أخرى درست **"الرسالة"** من جانب لغوي أو بلاغي أو عقَدي.

وبهذا يتضح الفرق بين دراستي الدعوية لكتاب "الرسالة"، والدراسات السابقة التي درستْ هذا الكتاب من زوايا علمية أخرى.

تساؤلات البحث:

١-كيف تناول الإمام الشافعي موضوع العقيدة في "الرسالة"؟

٢-كيف تحدث الإمام الشافعي عن منزلة الوحيين في "الرسالة"؟

---

(١) انظر: مجلة الزهراء، المجلد ١٣، العدد ١، ٢٠١٦م، ص٧٦

(٢) انظر: مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، المجلد ٢٥، العدد ٢٥، ٢٠٢٠م، ص ٤٧

٣- كيف فصّل الإمام الشافعي في العلم وصلته بالدعوة والداعية في "الرسالة"؟

٤- كيف أشار الإمام الشافعي عن الوعظ والنصح في "الرسالة"؟

٥- ما مضمون حديث الإمام الشافعي عن وسيلة التعليم في مُصَنَّفه؟

تقسيم البحث:

اشتمل البحث على تمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة:

التمهيد: التعريف بالإمام الشافعي وكتابه "الرسالة".

المبحث الأول: موضوع العقيدة.

المبحث الثاني: منزلة الوَحْيين.

المبحث الثالث: العلم الشرعي وصلته بالدعوة والداعية.

المبحث الرابع: التنويه بأهمية الوعظ والنصيحة.

المبحث الخامس: وسيلة التعليم.

الخاتمة: وتتضمّن أهم النتائج وأبرز التوصيات.

****

التمهيد

التعريف بالإمام الشافعي[1] وكتابه:

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس القرشي المُطَّلِبي. وُلد في غزة، وقيل: بعسقلان سنة (١٥٠هـ) وتوفي في مصر سنة (٢٠٤هـ). نشأ يتيماً في حِجْر أمه، وحُمِل إلى مكة وهو ابنُ سنتين. من مشايخه: الأئمة سفيان الثوري، وسفيان بن عُيينة، ومالك بن أنس، ومسلم بن خالد. ومن تلامذته: يوسف البُويطي، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، والربيع بن سليمان. أقام في مرابع البادية عشرين سنة، فأخذ عن العرب اللغات والأشعار والفصاحة[2]. وتميز الشافعي بالعقل الراجح، وسعة العلوم التي كان يُتقنها إتقاناً عالياً، فلا يأخذ في شيء إلا قلتَ فيه: هذه صناعته[3]. قصد مصر (سنة ١٩٩هـ) وكتب فيها فِقْهَه الجديد. من

(١) انظر في ترجمته: مناقب الشافعي، أحمد بن الحسين البيهقي، ١/ ٧٦، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، تاريخ دمشق، علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، دراسة وتحقيق: عمر بن غرامة العمروي، ٥١/ ٢٦٧، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، تهذيب الأسماء واللغات، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، ١/ ٤٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، وفيات الأعيان، أحمد بن خلكان تحقيق إحسان عباس، ٤/ ١٦٣، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧١م، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥، طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، ٢/ ٧١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ، البداية والنهاية، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ١٤/ ١٣٢، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٧/ ١٤٢٠هـ.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ١٧٩

مُصنفاته المطبوعة: "الرسالة"، و"الأم"، و"المسند"، و"أحكام القرآن"، وله مؤلفات كثيرة. اشتُهر بقوته ومهارته في صياغة المناظرات مع أقرانه، وقال أحمد بن حنبل عنه: "ما عَلِمْنا المجمل من المفسر ولا ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالَسْنا الشافعيَّ"(١). وجالس في العراق محمد بن الحسن الذي أثنى عليه كثيراً. عُرِف بالورع والسخاء واتباع السنة وإتقان العربية وآدابها، وكان يقول: "وَدِدتُ أن الناس تعلَّموا هذا العلم، ولا يُنسب إليَّ شيء منه"(٢).

والإمام الشافعي من أوائل المدوِّنين للعلم وطرق الاستنباط، فهو أول من أصّل علم أصول الفقه، وصنّف فيه رسالته، وعرض فيها مناقشاته واستنباطاته(٣). وتميزت "الرسالة" بأن الشافعي أودع فيها أبكارَ أفكارِ علمِ الأصول، كما قدّم خطة رصينة لهذا العلم، ومنحه كياناً مستقلاً، واستقرأ الجزئيات ونظمها في كليات يمكن تعميمها. وقد أشاد كتاب "الرسالة" لطلبة العلم نظاماً فكرياً، وأسّس من خلاله مدرسة أهل السنة والجماعة، وحدّد المرجع في التشريع والأحكام وهو الكتاب والسنة، وفصّل في مسألة الاحتجاج بهما.

ومن مميزات الشافعي في رسالته أنه كان يُوَقّر العلماء في نصوصه، فلا تكاد تجده يسيء، ولا يقلّل من شأن مخالفيه، ويحترم رأي كل أحد وموقفه، وإن خالفه، وكان يناقش المسألة العلمية من خلال صياغة محكمة، وحين تكون حجة الخصم ضعيفة لا يقف عند الأشخاص، بل يسوقُ الحُجَجَ المضادَّة، ويردّ عليها واحدة تلو الأخرى.

---

(١) تاريخ دمشق ٥١/ ٣٢٤

(٢) البداية والنهاية ١٤/ ١٣٧

(٣) مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه ١/ ٧٣

وقد حَظِي كتاب "الرسالة" بتقدير واسع من أئمة الإسلام عبر القرون السالفة، فعن عبد الرحمن بن مهدي قال: "لمَّا نظرت في كتاب الرسالة لمحمد بن إدريس أذهلتني؛ لأنني رأيت كلامَ رجلٍ عاقلٍ فقيهٍ ناصحٍ، وإني لأُكْثِر الدعاء له"(١). وقال المزني: "قرأت الرسالة خمسمئةِ مرةٍ، ما من مرة إلا واستفدت منها فائدة جديدة". وقال أيضًا: "أنا أنظر في الرسالة من خمسين سنة، ما أعلم أني نظرت فيها مرة إلا استفدت منها شيئًا لم أكن عرفته"(٢). وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي: يا أبتِ أيُّ رجل كان الشافعي؟ سمعتك تُكثر من الدعاء له فقال: "يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خَلَفٍ أو عوضٍ؟" وعن الميموني قال سمعت أحمد بن حنبل يقول: "ستة أدعو لهم في السَحَرِ أحدهم الشافعي". وعن ابن راهويه قال: "كنتُ مع أحمد بمكة فقال لي: تعال حتى أُريك رجلاً لم ترَ عيناك مثله، فأراني الشافعي"(٣).

وقد ألَّف الشافعي "الرسالة" مرتين، الأولى في مكة عندما طلب إليه الإمام عبد الرحمن بن مهدي(٤) أن يضع كتاباً فيه معاني القرآن، ويجمع قَبول الأخبار فيهم، وبيانَ الناسخ والمنسوخ من القرآن، وأهمية السنة، وبيان الإجماع، وخبرَ الواحد وحجيته، والقياس(٥)، وبعد أن تلقّى عبد الرحمن بن مهدي الكتابَ من الإمام

(١) تاريخ دمشق ٥١/ ٣٢٤
(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٤٧
(٣) صفة الصفوة، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: أحمد بن علي، ١/ ٤٣٥، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
(٤) انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء ١٩٢/٩
(٥) انظر: مناقب الشافعي ١/ ٢٣٠

الشافعي أُعجب به كثيراً، وقال: "ما أصَلّي صلاة إلا وأدعو للشافعي فيها"[١]. وقيل إنه لمّا قرأها قال: "ما ظننتُ أنه يكون في هذه الأمة اليومَ مثلُ هذا الرجل، أو أنَّ الله عزَّ وجل خَلَقَ مثلَ هذا الرجل". وعبد الرحمن بن مهدي هو أحد أركان أهل العلم بالحديث[٢].

وعندما استقرَّ الشافعي في مصر ألّف الرسالة الجديدة، وهو المشهور بين الناس؛ لأن الكتاب الأول قد فُقِد. وقد بدأ الشافعي كتابه بوصف أحوال الناس وقت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتضمّن الكتابُ الضوابطَ التي يلتزم بها الفقيه لبيان الأحكام الشرعية.

والكتاب مرجعٌ أساسٌ في علوم متعددة، منها: علما الفقه وأصول الفقه وعلم الحديث وعلوم القرآن والعقيدة. وقد نشط العلماء بعد الشافعي في تتبُّع ما قاله، والسعيِ في تأصيل العلوم التي تضمّنها؛ وذلك لأن الإمام فتح أمامهم أبواب العلوم الشرعية، ووضع لهم قواعد الاستنباط والترجيح، كما تضمن الكتابُ إشاراتٍ في علوم الدعوة، وتأهيل الداعية، وردّ على مَن يزعم الاعتماد على القرآن دون السنة، ومباحث أخرى، أحببت أن أرصدها في هذا البحث. كما تضمن مُصنَّف الرسالة جوانب متعددة من مباحث أصول الفقه وفق أسلوب الحوار والمناقشة، وكأن سائلا يسأله على طريقة: فإن قال قائل، قلت. وهو أسلوب تعليمي مفيد.

(١) مناقب الشافعي ١/ ٢٣٠
(٢) مناقب الشافعي ١/ ٢٣٢

المبحث الأول: موضوع العقيدة

إن أبرز ما ينبغي للدعاة فَهْمُهُ والدعوةُ إليه هو العقيدة الإسلامية(١)، فالعقيدة الإسلامية هي الأساس المتين للدين الإسلامي ورُكنِه القويم، وهي مبتدأ هذه الدعوة المباركة، فلا يُدعى إلى فِعْلِ واجب أو تَرْكِ محرم، حتى يستقيم عُود العقيدة، وتصفو من أيّ كدر؛ وبها تَصِحّ أعمال العبد، وبدونها لا تُقْبَلُ. لذا كانت الدعوة إلى العقيدة الإسلامية هي أول ما دعا إليه الرسل جميعاً، إذ لم يكونوا يبدؤون بشيء قبلها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾(٢)، وأكّد لنا الله تعالى أهمية العقيدة بأنْ أوحى لكل لرسول أن النجاة والفلاح في تصحيح العقيدة، والبراءةِ من الشرك: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٣). وأمر رسله عليهم السلام أن يفتتحوا بها دعوتهم: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾(٤).

---

(١) انظر في أهمية العقيدة للداعية: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، د. عبد الرحيم المغذوي، ص٣١٠، ٤٥٣، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، الدعوة فئة المتخصصين في العلوم الشرعية، د. حمد بن ناصر العمار، ص٦٣-٧٠، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٢) سورة النحل: الآية ٣٦

(٣) سورة الزمر: الآية ٦٥

(٤) سورة المؤمنون: الآية ٣٢

وحَرَص النبي صلى الله عليه وسلم أن يوصيَ مبعوثِيه من الدعاة أن يجعلوا تصحيح العقيدة هو الموضوع الأول لافتتاحية دعوتهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا بعث معاذاً إلى اليمن قال له: "إِنَّكَ تَقْدمُ على قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إليه عِبَادَةُ اللَّهِ عز وجل فإذا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فإذا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قد فَرَضَ عليهم زَكَاةً تُؤْخَذُ من أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ على فُقَرَائِهِمْ فإذا أَطَاعُوا بها فَخُذْ منهم وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِم"(١). من هذا الحديث الشريف، ومن استقراء دعوة الرسل في القرآن والسيرة النبوية، يجدر بنا أن نقرر أن أساس المنهج الدعوي إلى الله تعالى هو العقيدة المتمثلة بعبادة الله وحده لا شريك له، وتَرْك عبادة ما سواه. وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم في مكة الناس إلى تصحيح العقيدة ثلاث عشرة سنة قبل أن يأمرهم بأيّ عبادة من العبادات.

لذا وجب على الدعاة العنايةُ بالجانب العَقَديّ، والإقبال على دراسته، والتبصّر في مسائله، ثم الدعوة إليه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(٢).

ومن الموضوعات العَقَدية المهمة التي اعتنى العلماء بدراسة دقائق مسائلها، والدعوةِ إليها، تعظيمُ صفات الله تعالى وتشريفُها، وذمُّ الكفر، والتحذير من البدع، والإعلاء من شأن الأنبياء عليهم السلام، وفي مقدمتهم النبي محمد صلى الله عليه

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ١٧٢/١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم ٨٩

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٨

وسلم، وغيرها من القضايا الهامة المنثورة في كتب العقيدة التي تناولها العلماء بالدرس والشرح والإبانة.

وقد دَأب الشافعي في مُصنّفه "الرسالة" على التذكير بقضايا العقيدة الرئيسة، فتحدَّث عن صفات الله عز وجل، واعتنى بشرحها، والثناء عليها. امتثالاً للأمر الرباني: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١)، قال السعدي رحمه الله: "فتبارك الذي ليس كمثله شيء في صفات ذاته، وصفات أفعاله وآثار تلك النعوت، وعظمة الملك والملكوت"(٢). فمهما بذل الواصفون في الثناء على هذه الصفات فهم لا يحيطون بقَدْرها ومنزلتها، وربنا عز وجل يستحق هذه الأوصافَ التي وصف بها نفسه في كتابه، وعلى لسان وَحْيه، وهو أعلى مرتبةً ممّا صاغه خَلْقُه في عظمة أوصافه. قال الشافعي رحمه الله: "ولا يَبْلُغ الواصفون كُنْهَ عَظَمة اللهِ، الذي هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصِفُه به خَلْقه"(٣).

والكفر بالله عز وجل هو أعظم الذنوب قاطبة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾(٤)، قال ابن عباس:

(١) سورة الشورى: الآية ١١

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص٤٣٩، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠ م.

(٣) الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ص٨، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

(٤) سورة النساء: الآية ١١٦

"فحرّم الله تعالى المغفرة على من مات وهو كافر"(١). وقال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾(٢) "أي: أُعْلِموا بأن كفرهم إن أصَرُّوا عليه لا يضر الله، وإنما يضر أنفسهم. وهذا شروع في الإنذار والتهديد للكافرين؛ لإنكار انصرافهم عن التوحيد، ومعنى "أن الله غني عنكم" أي: غني عن إقراركم له بالوحدانية، وغيرُ مفتقر له"(٣).

وإن ابتداع عبادات ما أنزل الله بها من سلطان يُعَدّ من الضلالات التي ما فتئ الشرع يحذّر عباده منها؛ فهي اعتراف خفيّ بنقص هذا الدين، وحاجتِه إلى كمال يضيفه إليه البشر بعقولهم القاصرة، مع أن الله أكمل الدين، وأتمَّ به النعمة قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾(٤)؛ لذا جاء التحذير النبوي من البِدَعِ في الحديث الشريف: "وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ"(٥).

وفي معرِض التحذير من الكفر والبدع يؤكّد الإمام الشافعي في رسالته أن "أعظم الأمور الكفرُ بالله، وابتداع ما لم يأذن به الله"(٦) فأعظم ما ارتكبه بعض الناس في حق الله هو الكفر به، وجحودُه، ويُضاف إلى ذلك ما ابتدعوه من اعتقادات، وأعمال ما أنزل الله بها من سلطان.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ٨/ ١٠١، توزيع: دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

(٢) سورة الزمر: الآية ٧

(٣) التحرير والتنوير من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ٢٣/ ٣٣٧، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

(٤) سورة المائدة: الآية ٣

(٥) صحيح مسلم ٢/ ٥٩٢ ت عبد الباقي، برقم ٨٦٦، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة.

(٦) الرسالة ص١٢

ومن القضايا العَقَدية التي اهتم بها العلماء، موضوع الأنبياء ومنزلتهم العالية عنده سبحانه، وما حباهم الله به من صفات كريمة وخِلال شريفة، قال تعالى في مدح أنبيائه والثناء عليهم: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾[1]. فهؤلاء الأنبياء هم الذين هداهم الله لدينه الحق، وحفْظِ ما وُكِلوا بحفْظِه من آيات كتابه، والقيامِ بحدوده، واتباعِ حلاله وحرامه، والعملِ بما فيه من أمر الله، والانتهاءِ عما فيه من نهيه، فوفَّقهم جلَّ ثناؤه لذلك فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم، فاعمل يا محمد، وخذ به واسلكه، فإنه عَمَلٌ لله، فيه رضاً ومنهاجٌ، مَن سلكه اهتدى[2].

لذا كانت هذه القضية من ضمن القضايا الهامة التي تحدث عنها الشافعي في رسالته، فتناول منزلة الأنبياء، وتفرُّدَهم بصفات كثيره اختلفوا فيها عن باقي الذين بُعثوا إليهم، وذلك بصِلتهم بالله، واتّباعِهم أوامره، وسيرِهم الحثيثِ على هدي الكتب التي نهضوا بتبليغها، وكان الواحد الفذّ من هؤلاء الأنبياء تقوم الحجَّةُ به، وقد اختاره ربه لأعباء الرسالة التي كلّفه بها. وهذا النبي الفرد يسدّ مسدّ الأكثرين من أمثاله. يقول: "أقام الله حجته على خلقه في أنبيائه، في الأعلام التي باينوا بها خلقه سواهم، وكانت الحجة بها ثابتة على مَنْ شاهد أمور الأنبياء ودلائلهم التي باينوا بها غيرهم، ومَنْ بعدهم، وكان الواحد في ذلك وأكثر منه سواءً، تُقدّم الحجة بالواحد منهم قياماً بالأكثر"[3].

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٠
(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١/ ٥١٩
(٣) الرسالة ص٤٧٣

ويضرب لنا الشافعي مثالاً بديعاً في قوة صلة الأنبياء بالله تعالى، وتوكُّلِهم عليهم سبحانه، وتسليمهم التام لأوامره جلَّ وعزَّ، وإن خالفَتْ رغباتِهم، وذلك في قصة نبي الله إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام. فقد أشار صاحب الرسالة إلى طرف من أخبار خليل الله إبراهيم عليه السلام، وقرّر أن رؤياه التي رآها في منامه حق، وهي وحي من الله، ولمّا عَرَض الأمر على ابنه إسماعيل الذي هو موقن بأن رؤياه ما هي إلا أمرٌ من ربه قال له: "يا أبتِ افعل ما تؤمر به"، فإبراهيم وإسماعيل كلاهما مسلِّمٌ وجهيه إلى ربهما، وقررا المضي في هذه الرؤيا؛ لأنها وحي وحق من الله يقول: "رؤيا الأنبياء وحي؛ لقول ابن ابراهيم الذي أمره بذبحه يا أبتِ افعل ما تؤمر، ومعرفته أن رؤياه أمرٌ أُمِر به"(١).

ومن أبرز القضايا العقدية المُعتنى بها في علم العقيدة مكانةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد مدحه الله تعالى في عدد من الآي الشريف ومنها: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(٢)، وأثنى على عظيم خُلُقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم﴾(٣)، وامتنّ على عباده بأن أرسله عليه الصلاة والسلام لهم: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾(٤). ومن علوّ منزلته عند الله تعالى أن توعّد بالعذاب مَن آذى رسول الله صلى الله

(١) الرسالة ص١٥٤
(٢) سورة الشرح: الآية ٤
(٣) سورة القلم: الآية ٤
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٦٤

عليه وسلم بأي وسيلة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾(١).

وفي كتاب "الرسالة" مواضع عديدة تضمَّنت الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزلته العليا، وإبراز مقامه الشريف في التشريع الإسلامي، وقد أبان الإمام الشافعي عن هذه المكانةِ بجلاء. يقول: "أَنقَذَنا به من الهلكة، وجعلنا في خير أمة أُخْرِجَتْ للناس، لم تَمَسَّ بنا نعمةٌ ظهرت ولا بطَنَتْ نِلْنا بها حظاً في دين ودنيا أو دفع بها عنا مكروه فيهما وفي واحد منهما، إلا ومحمدٌ سبَبُها، القائدُ إلى خيرها، والهادي إلى رُشْدها، الذائدُ عن الهلكة، وموارد السوء في خلاف الرشد، المُنَبّه للأسباب التي تورد الهلكة، القائم بالنصيحة في الإرشاد والإنذار فيها"(٢).

نلاحظ في هذا النص أن صاحب "الرسالة" أثنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو أهله، وبيَّن منزلته عند ربه، وقد بعثه ربه لهداية الخلق أجمعين إلى يوم الدين، فكان سبباً مباشراً قاد إلى رشد عميم. ولم يَرِد في كتاب "الرسالة" غلوٌّ في هذا الثناء على رسولنا الكريم، وإنما أعطاه حقه كما مدحه ربه: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيم﴾(٣).

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٧
(٢) الرسالة ص١٦
(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٨

المبحث الثاني: منزلة الوَحْيين

القرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأساس الذي يستقي منه الدعاة مناهج دعوتهم وأصولها، ويتعلمون من أساليبه ووسائله ما ينير بصائرهم، ويُسَدِّد خطاهم في دربهم الدعوي، وهم في عنايتهم بكتاب الله متمثلون أوامرَ الله وتوجيهه لهم بذلك، راجون الهداية إلى سبل السلام، والفوز بنور الله، الموعودون به في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]. فالقرآن يُستضاء به في ظلمات الجهالة، وعماية الضلالة، وهو مبيّنٌ لكل ما يحتاج الخلق إليه من أمور دينهم ودنياهم. وإنّ مَن اجتهد وحَرَص على بلوغ مرضاته، وصار قصده حسناً، فإنه سيُهدى بهذا القرآن إلى سبل السلام التي يَسْلَم صاحبها من العذاب، وتُوصله إلى دار السلام، وهو العلم بالحق والعمل به، إجمالا وتفصيلا. ويُخرجهم من ظلمات الكفر والبدعة والمعصية، والجهل والغفلة، إلى نور الإيمان والسنة والطاعة والعلم والذِّكر[2].

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى التمسك بهذا الكتاب، وأوصى الدعاة بلزوم توجيهاته: فعن طلحة بن مصرف قال: "سألت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى؟ فقال: لا، فقلت: كيف

(١) سورة المائدة: الآيات ١٥-١٦

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٢٢٦

كتب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية قال: أوصى بكتاب الله"[١]. قال ابن حجر رحمه الله: "أي بالتمسك به والعمل بمقتضاه"[٢].

وأوصى عليه الصلاة والسلام بقراءة القرآن وحِفْظِه وتَعَلُّم أحكامه: عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَثَل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له، مع السَفَرة الكرام، ومثل الذي يقرأ، وهو يتعاهده، وهو عليه شديد، فله أجران"[٣]. وعن عثمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خيركم مَنْ تعلَّم القرآن وعلَّمه"[٤].

وقد اهتمَّ الشافعي رحمه الله بالقرآن الكريم، وكان يستشهد بنصوص من آي القرآن على كثير من المسائل التي يوردها في كتابه "الرسالة"، وتَضَلَّعَ في فهم القرآن الكريم، فكثيراً ما يشير إلى معانٍ عميقة، ودلالات دقيقة في الآيات، كما يلجأ للقرآن في تحليل قول أو شرح مسألة، أو بيان لبعض القضايا الفقهية والحديثية والعقدية المستنبطة من الآيات القرآنية.

ووصف الشافعيُّ القرآنَ المجيدَ بأنه البيان الكامل الذي يحقّق شفاء العاملين به من الضلال والشقاء، وهو الذي بيَّن المنزلة العليا التي منحها الله لنبيه ودينه، وبيّن

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ٤/ ٣، تحقيق جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، كتاب الوصايا، باب الوصايا، برقم ٢٧٤٠

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، ٥/ ٣٦١، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ط١، ١٣٨٠/١٣٩٠هـ.

(٣) صحيح البخاري ٦/ ١٦٦، كتاب تفسير القرآن، باب سورة عبس، برقم ٤٩٣٧

(٤) صحيح البخاري ٦/ ١٩٢، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، برقم ٥٠٢٧

فيه درجة مَن سار على نهجه. يقول: "وكتاب الله البيان الذي يُشفى به من العمى، وفيه الدلالة على موضع رسول الله من كتاب الله ودينه واتباعه له وقيامه بتبيينه عن الله"(١).

وما انفكّ الشافعيُّ في كتابه "الرسالة" يُذَكّر الدعاة، وطلبة العلم بمنزلة كتاب الله، ويرشدهم إلى أهمية الاعتصام به، وفَهْمِ معانيه، واتّباعه، وتَدَبُّره، ويُبيّن لهم العاقبة الحميدة لمَن حَظِيَ بشرف العلم به والعمل بأحكامه. قال رحمه الله: "فإنَّ مَنْ أدرك علم أحكام الله في كتابه نصاً واستدلالاً ووفَّقه الله للقول والعمل بما علم منه فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرِّيَب، ونَوَّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة"(٢). وهذا القول من الإمام يدعم اعتقاد المسلم بأن الاستناد إلى كتاب الله في التشريع والأحكام يمنح المسلم فضيلة رفيعة.

ووضّح الإمام رحمه الله أنه إذا طرأتْ على أحدٍ مسألةٌ حارَ في طرائق الخروج منها فعليه أن يفتّش عن الطريق الموصل إلى حلّها، وكشْفها في كتاب الله؛ فكتاب الله تعالى محيط بكل ما يَهُمُّ المؤمنين في معاشهم، شامل لكل ما يلزم الناس في حياتهم، يقول: "فليست تَنْزِل في أحد من أهل دين الله نازلةٌ إلا وفي كتاب الله الدليلُ على سبيل الهدى فيها"(٣). ففي نظر الشافعي أن هذا القرآن العظيم فيه الحلول لكل نازله تنزل بالمسلمين، بَيْدَ أن النظر، وملكة الاستنباط، والتأمل العميق في التنزيل الحكيم، وسائل يمنحها الله لمَن يهديه إلى الحق المبين.

(١) الرسالة ص١١٣
(٢) الرسالة ص١٩
(٣) الرسالة ص٢٠

ويشرح الشافعي ما تضمَّنه كتاب الله من هداية العالمين، وأحكام الحلال والحرام، وجزاء المتمسّكين بطاعته. يقول: "وأنزل عليه كتابه، فَنَقَلَهم من الكفر والعمى إلى الضياء والهدى، وبيَّن فيه ما أحلّ منَّاً بالتوسعة على خلقه، وما حرّم لما هو به من حظهم، في الكفّ عنهم في الآخرة والأولى، وابتلى طاعتهم بأن تعبَّدهم بقول وعمل وإمساك عن محارم حَماهُموها، وأثابهم على طاعته من الخلود في جنته، والنجاة من نِقمته، وأعلمهم ما أوجب لأهل طاعته"(١)(٢).

والسنة النبوية هي الوحي الثاني الذي أوحى الله به إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي ارتضاه ليكون نذيراً وبشيراً للعالمين، فكان هذا الوحيُ هو المصدر التشريعي الثاني الذي يؤكّد ما ورد في القرآن من أحكام وتشريعات، ويُبيّن ما جاء مجملاً فيه، ويوضّح ما غَمُض من معانيه، كما يورد أحكاماً وتشريعات سكت عنها القرآن الكريم، وقد ورد الأمر الرباني باتباع هذه السنة الشريفة والسيرِ على هداها: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾(٣)، وامتنّ على رسوله الكريم بأنه أنزل عليه الوحيين الكتاب والسنة ليعمل بهما ويدعوَ إليهما وبهما: ﴿وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾(٤). وقد أكّد هذا التفسيرَ الإمامُ الشافعي في "الرسالة" فقال: "فَذَكَر الله الكتاب وهو القُرآن، وذكر الحِكْمَة

(١) الرسالة ص١٨

(٢) للاستزادة حول منزلة القرآن الكريم وأهمية تدبره وفهمه: مقدمة في أصول التفسير، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ص٧-١٠، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٣) سورة النور: الآية ٥٤

(٤) سورة النساء: الآية ١٣

فسمعتُ مَنْ أرْضى من أهل العلم بالقُرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله"[١]. وبيّن في أكثر من موضع أن الحكمة هي: حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

وعندما يُورِد الشافعي في "الرسالة" قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٣] يقول: "القرآن ذُكِر، وأُتْبِعَتْه الحكمةُ، وذَكَرَ الله منَّه على خَلْقِه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يَجُزْ -والله أعلم- أن يُقال: الحكمة ها هنا إلا سنةُ رسول الله؛ وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله، وأن الله افترض طاعة رسوله، وحتَّم على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقوله "فرض" إلا لكتاب الله ثم سنة رسوله"[٤].

وفي سياق الإعلاء من شأن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتحذير من الاستهانة به استشهد الشافعي مرات عديدة[٥] بقوله صلى الله عليه وسلم: "لا أُلْفِينَّ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه"[٦]. فلا يجوز لأحد أن يتكبر، ويُعرضَ عن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يقبلها، ولا يعمل بها،

---

(١) الرسالة ص٧٨

(٢) الرسالة ص٣٢، ٤٨

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٦٤

(٤) الرسالة ص٧٨

(٥) انظر: الرسالة ص٨٩، ٢٢٦، ٤٠٣

(٦) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، ٤/ ٦٠٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، برقم ٢٨٥٤، باب ما نُهي عنه أن يُقال عند حديثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال المحقق: حديثٌ حسنٌ.

فمن لم يقبل قول رسول الله عليه الصلاة والسلام، فكأنه لم يقبل القرآن(١). ومن هنا فإن الخيبة سوف تلازم من حرمَ نفسه الإفادة من أنوار الحكمة، وصار يتخبّط في اعتقاده بأنه يستقي من القرآن الكريم، ويُعرض عن السنة بحجة أنها تعرّضت للافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد ظهرت مؤخراً طائفة يُسَمّي أتباعُها أنفسهم بـ "القرآنيين"، يزعمون أنهم أهل القرآن، وأن القرآن هو المصدر الأوحد الذي ينبغي التمسك به، والاحتكام إلى ما فيه من تشريعات وأحكام، وأن السنة لا يُحتج بها؛ لأنها –على حد زعمهم– إنما كُتبت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة طويلة، وقد يكون قد وقع فيها افتراءات صاحبَتْها، وزعموا أنهم بذلك يحتاطون لدينهم، فلا يعتدّون إلا بالقرآن فقط.

وهذه الشبهة مردودة عليهم، فالله عز وجل أمر بكتابه الكريم بطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام واتباع ما جاء به، فدلّ ذلك على أن طاعته واجبة، وأن سنته صلى الله عليه وسلم واجبة الاتباع، ومسألة توثيقِ الأحاديث والاحتياطِ الشديد الذي بذله العلماء مسألة واضحة كلّ الوضوح(٢). قال الأوزاعي: "الكتاب أحوج إلى السنة

---

(١) انظر: المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود المُظْهِري، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ١/ ٢٦٦، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية، وزارة الأوقاف الكويتية، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

(٢) وللمزيد من توضيح آراء القرآنيين والرد على شبهاتهم انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي، ١/ ٤٢–٤٥، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر، ١/ ٢١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٦، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبد الرؤوف محمد عثمان، ص١٢٠–١٢٣، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد =

من السنة إلى الكتاب"[١]. وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: "إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظَّ له في دين الإسلام"[٢].

ويؤكد الشافعي موقف المؤمن الذي قَبِل كل توجيه وأمر ونهي في كتاب الله، وهو أيضاً يقبل كل ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سننه، وينتهي إلى حكمه، إذ لا ينفصل الموقف الأول عن الموقف الثاني، فالله تعالى قرر في كتابه وجوب طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، والقبول التام ينبغي أن يتوجه إلى كلا المصدرين امتثالاً للأمر الرباني: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[٣]. يقول رحمه الله: "فكلّ مَن قَبِل عن الله فرائضه في كتابه قَبِل عن رسول الله سننه بفرض الله طاعة رسوله على خلقه، وأن ينتهوا إلى حُكمه، ومَنْ قَبِل عن رسول الله فمِن الله قَبِل، لِمَا افترض الله من طاعته، فيجمع القبولُ لِما في كتاب الله ولما في سنة رسول الله القبولَ لكل واحد منهما عن الله، وإن تفرّقت فروعُ الأسباب التي قُبِل بهما عنهما"[٤]. ومن البَدَهيّ أن يقرّر الشافعي أن سنة النبي

إدارة الطبع والترجمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ، شبهات القرآنيين، عثمان بن معلم محمود بن شيخ علي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، أ. د/ محمود محمد مزروعة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

(١) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، ٢/ ١١٩٣، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، ١/ ٩٧، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

(٣) سورة محمد: الآية ٣٣

(٤) الرسالة ص٣٣

صلى الله عليه وسلم تَبَعٌ لكتاب الله فيما أنزل، يقول رحمه الله: "ويعلمون أن اتباعَ أمره طاعة الله، وأن سُنته تَبَعٌ لكتاب الله فيما أنزل، وأنها لا تخالف كتاب الله أبداً"(١). وتؤكد ذلك الآية الكريمة: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّه﴾(٢).

وقد شرع الشافعي بعد بيان منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحكام التشريع، ومعنى الحكمة الواردة في الآيات، في بيان حكم سنّته. يقول: "سُنَنُ النبي من ثلاثة وجوه، فاجتمعوا منها على وجهين، والوجهان يجتمعان ويتفرعان: أحدهما: ما أنزل الله فيه نصَّ كتاب، فبيّن رسول الله مثل ما نصّ الكتاب، والآخر: مما أنزل الله فيه جملة كتاب، فبيّنهن عن الله معنى ما أراد. وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما. والوجه الثالث ما سنَّ رسول الله فيما ليس فيه نصُّ كتاب"(٣).

ويُبيّن الشافعي وَجْهَي السنة النبوية، فهي: إما مبيّنةٌ لما جاء في كتاب الله بعدة اعتبارات، أو موضّحةٌ لحكم شرعي سكت عنه القرآن، يقول: "سنة رسول الله وجهان، أحدهما ما يبيّن ما في كتاب الله المبين عن معنى ما أراد الله بجملته خاصاً وعاماً، والآخر ما ألهمه الله من الحكمة، وإلهام الأنبياء وحي"(٤).

ويضرب الشافعي لهذين الوجهين أمثلة عديدة، فثمة تطبيقات كثيره لفرائضَ جاءت مجملة عامة في الكتاب، ولكن تفصيلها وَرَدَ في السنة، يقول: "أَحْكَمَ اللهُ فرضَه في كتابه في الصلاة والزكاة والحج، وبيّن كيف فُرض على لسان نبيّه"(٥). كما ضَرَبَ أمثلة على أن السنة قد تتضمّن تفصيلاً لم يَرِد في ظاهر القرآن. كقوله: "في

(١) الرسالة ص١٤٦
(٢) سورة النساء: الآية ٨٠
(٣) الرسالة ص٩١
(٤) الرسالة ص١٥٣
(٥) الرسالة ص١٧٦

الحديث: "وفي الرِّكاز الخمس"(١) ولولا دلالة السنة كان ظاهر القرآن أن الأموال كلها سواء، وأن الزكاة في جميعها دون بعض"(٢).

وقد يُشْكِلُ هذا الأمرُ على بعض المدّعين البائسين، فلا يأخذون تشريعاً من السنة النبوية إلا ما وجدوا مثله في القرآن الكريم، فيُقرر الشافعي أن الحكم في ذلك جازم مقطوع به، وعلى المسلم الامتثال بذلك. يقول: "فكيف والحُجَجُ في مثل هذا لله قائمةٌ على خَلْقِه بما افترض من طاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وأبان من موضعه الذي وضعه به مِنْ وَحْيِه ودينه وأهل دينه"(٣)؟ والشافعي في ذلك ممتثل للأمر القرآني الذي يؤكّد ضرورة التسليم التامّ لحكمه صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾(٤).

ويسرُد الشافعي المزيد من الحُجَجِ التي تؤكد منزلة السنة النبوية في الميزان الشرعي، فيُبيّن أن قضاء الله قد سبق، وهو متضمن أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم تكليفُ ربّه له بالتشريع لأمة محمد صلى الله عليه وسلم. يقول: "إن الله تعبَّدَ خَلْقَه في كتابه وعلى لسان نبيه بما سبق في قضائه أن يتعبَّدهم به، ولما شاء، لا مُعَقّب لحكمه فيما تعبَّدهم به، مما دلّهم رسول الله على المعنى الذي له تعبّدهم به"(٥).

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ١٣٠، كتاب الزكاة، باب في الركاز الخمس، برقم ١٤٩٩

(٢) الرسالة ص١٩٦

(٣) الرسالة ص١٩٩

(٤) سورة النساء: الآية ٨٨

(٥) الرسالة ص٢١٧

ويتأمَّل الشافعي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[1]؛ ليستنتج منه مزيد حُجَجٍ يُقنِع بها من اكتفى بالقرآن مصدراً تشريعياً، وأقصى السنة النبوية عن هذا التشريع فيقول: "فأعلم اللهُ الناسَ في هذه الآية أن دعاءَهم إلى رسول الله ليحكم بينهم دعاءٌ إلى حكم الله؛ لأن الحاكم بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا سلّموا الحكم رسولَ الله فإنما سلّموا لحكمه بفرض الله، وأنه أعلمهم أن حكمه على معنى افتراضه حكمه، وما سبق في علمه من إسعاده بعصمته وتوفيقه، وما شهد له به من هدايته واتباع أمره"[2].

وفي هذا السياق تحدّث الإمام الشافعي عن مَزْلقٍ خطيرٍ يقع فيه بعض العامّة، وهو نسبة حديثٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَقُلْه. وهذه معصية كبيرة، وإثم فادح؛ فقد منح ربنا عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم منزلة كبرى، فكان وَحْيَه المسدد، ولا يجوز أن ننسب إليه ما لم يُروَ عنه. يقول رحمه الله: "الكذب إذا كان مَنْهِيَّاً عنه على كل حال فلا كذبَ أعظمُ من كذبٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم"[3]. وهذا تطبيق للتوجيه النبوي: "مَن يقل علي ما لم أقل، فليتبوأ مقعده من النار"[4].

ثم يتحدث الإمام عن بعض المظاهر التي لمسها لدى بعض الناس وهم يخالفون سنة النبي صلى الله عليه وسلم. يقول: "وأمَّا أن نخالف حديثاً عن رسول الله ثابتاً

---

(١) سورة النور: الآية ٥١

(٢) الرسالة ص٨٤

(٣) الرسالة ص٤٠٠

(٤) صحيح البخاري ١/ ٣٣ برقم ١٠٩ كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم.

عنه، فأرجو ألا يُؤْخَذ ذلك علينا، وليس ذلك لأحد، ولكن قد يجهل الرجل السنّة فيكون له قولٌ يخالفها، لا أنه عَمَد خِلافَها، وقد يغفل المرء ويخطئ في التأويل"(١). وهذا الكلام في غاية الدقة، ويلمَس دواخِله الفقيهُ المتمكّن من علوم الفقه، فقد يكون من فقهه الذي استنبطه وسار عليه مسألةٌ من مسائل العلم في ظاهرها ما يخالف حديثاً ثابتاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليس في ذلك تعمُّدُ مخالفته، ولكن تأويلاً ذهب إليه الفقيه في فهم مفردات الحديث وما تشير إليه(٢).

وبناء على ما تقدم ينبغي أن يكون في يقين كل مسلم "أنّ ما سنَّه رسول الله فيما ليس لله فيه حكم فبحكم الله سَنَّهُ، وكل ما سنّه فقد ألزمنا الله اتباعه، وجعل في اتباعه طاعته"(٣)(٤).

ومما سبق يتبيّن لنا أن كتاب "الرسالة" هو كتاب في أهمية الاستنباط من الوحيين، ففيه قواعد منظمة لقراءة الوحيين، وقد رُزق الشافعي فهماً واسعاً في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

---

(١) الرسالة ص٢١٩

(٢) للاستزادة حول موضوع اختلاف العلماء انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، د. وَهْبَة الزحيلي، ١/ ٨٣-٨٨، دار الفكر، سوريَّة، دمشق، ط٤.

(٣) الرسالة ص٨٨

(٤) للاستزادة حول منزلة السنة النبوية وأهمية تدبّرها وفهمها انظر: الحديث والمحدثون، محمد محمد أبو زهو رحمه الله، ص٢٠-٣٦، ط١، دار الفكر العربي، ١٣٧٨ هـ/١٩٥٨م.

المبحث الثالث: العلم الشرعي وصلته بالدعوة والداعية

التَفقّهُ في الدين من أعظم آلاء الله التي حباها بعض عباده الموفَّقين، فهو يُكمل العقول، ويُنير القلوب، ويُقوّم المناهج، ويُصحّح الدروب. ولطلب العلم في شرعنا مكانة عظيمة، وأهمية بالغة، إذ حضَّ الشارع كلَّ مسلم على نَيْلِه، وبالتفقّه تُعرف تفاصيل الأحكام الشرعية، وبه تُفهم دقائق الحِكم التشريعية، وبه يتمّ التعامل بحكمة وبصيرة مع كل ما يعترض أمور الحياة.

ومن جليل قَدْره أن جعله الله ميراث الأنبياء(١)، وجعل من أسباب السعادة للعبد، وعلامات النجاة والفوز أن يتفقَّه في دين الله: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدّين"(٢).

والدعاة إلى الله تعالى من أبرز مَن يتوجّب عليهم تعلُّم العلم الشرعي، والتفقُّه فيه؛ فالداعية الموفق هو الذي يدعو على علم وهدى وبصيرة؛ حتى يُبلّغ عن الله تعالى عن دراية وسداد، وبه يؤدّي رسالته على هدى وبصيرة وبيّنة من أمره. قال تعالى: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(٣) ، ومن هنا جاءت التوجيهات القرآنية والنبوية تلفتان النظر إلى قيمة العلم وأهله(٤).

وفي ثنايا رسالة الشافعي نصوص وفيرة دعا فيها الإمامُ المسلمين إلى طلب العلم، والحرص على كسبه، والالتحاق الجادِّ بمساربه وطُرقه. وليس ذلك بغريب

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٢٤

(٢) صحيح البخاري ١/٢٥، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، برقم ٧١

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٨

(٤) انظر: الدعوة للدكتور حمد العمار ص١١٢-١١٥

على الدين الذي دعا إليه سيد العلماء صلى الله عليه وسلم، فهو الذي حَضَّ على طلب التعلّم، وهَجْر الجهل، ولا يستوي في رحابه الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

ويخاطب الشافعي جمهورَ مَنْ سلكوا طريقاً إلى العلم على اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم، إذا أرادوا القول في دين الله بأن يُحْكِموا مضمون قولهم من حيث صحته وصحة شواهده، وبيان ركائزه ومصادِرِه ودلائِلِه، فالواجب على العالِمِين كما يقول: "ألَّا يقولوا إلا من حيث علموا، وليس لأحد أبداً أن يقول في شيء حَلَّ أو حَرُم إلا من جهة العلم. وجهة العلم الخبرُ في الكتاب، أو السنة، أو الاجماع، أو القياس"(١).

فالإمام يُرشِد كل من أراد أن يتكلَّم في أحكام الدين أن يتضلَّع بالعلم، ويتمكَّن من طرائقه وشواهده ودلائله. ولا شك أن هذه الدعوة إلى الاعتصام بالعلم لبناء المَلَكة التي تُمكّن طالب العلم من الخوض في جوانب مسألته التي يعْقِدها، وهو ينوي الاستزادة في جوانبها لنفسه أو لقلمه أو لخطابه.

وحَرِيٌّ بالدعاة إلى الله أن يفقهوا أبعاد ما يتطلع إليه الشافعي من مسيرتهم، فتقوى هممهم في التعلق بأستار العلم ومجالسه، فلا يدْعون إلى الله إلا بعد أن يتمكنوا من ناصية العلم.

وثمة مزالقُ يقع فيها طالب العلم في مسيرته العلمية، فينبري الشافعي في مصنّفه لتوضيحها، والتحذير منها. ففي باب الحث على التسلّح بالعلم والحرص على التزوّد الدائم منه يُحذّر الإمام الشافعي عامة طلبة العلم من عواقب الخوض في مسائل لم يُكْمِلُوا تأهيلهم فيها، ولم يصلوا إلى إحكام قواعدها، ومعرفة احتمالاتها، فمن الخطأ وُلوجُ باب العلم، إن كان المتعلم ذا ملكات محدودة، وبضاعةٍ مزجاة. يقول:

(١) الرسالة ص٣٩-٤١

"ومَنْ تكلّف ما جَهِل، وما لم تُثْبِتْه معرفتُه كانت موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرِفُه غيرَ محمودة، وكان بخطئه غيَر معذور"(١).

وثمة آفة أخرى يقع فيها طائفة من المتعلّمين، فهم إذا تعلّموا بعض علم اغترُّوا به، ومن ثمّ تسرّعوا في الأحكام من غير تروٍّ وتُؤَدةٍ، فلا يحسبون حساباً لجلاله ودقته، ويتمنى الإمام أن لو أمْسكوا وسكتوا؛ ليَسْلم الناس من جهلهم. يقول: "وقد تكلّم في العلم مَنْ لو أمسك عن بعض ما تكلّمه فيه منه لكان الإمساكُ به أقربَ من السلامة له"(٢).

وآفة تُصيب بعض طلبة العلم، إذ يحبّون التفاخر بعلمهم، والتشدّق به في حَيِّهم، فيخاطب الشافعيُّ هؤلاء المتصدّرين للمجالس، ومخاطبة الجمهور من غير أن يمتلكوا آلاتِ الفهم، والتعمّق في المسائل التي يُذيعونها، وينصح الواحدَ منهم بقوله: "وعليه في ذلك بلوغُ غاية جهده، والإنصافِ من نفسه حتى يعرفَ من أين قال ما يقول، وتَرَك ما يترك"(٣)(٤).

وآفة الحفظ دون فهمٍ يشير إليها الشافعي، فيحدّثنا عن فئة ممَّن يُحْسَبُون على طلبة العلم، فتراهم يمتلكون ملَكَة الحفظ، ولا يَمتَلكون ما يُسَمّيه بحقيقة المعرفة، وعَقْل المعاني. يقول: "ومَن كان عالِماً بما وصفْنا بالحفظ لا بحقيقة المعرفة فليس

(١) الرسالة ص٥٣
(٢) الرسالة ص٤١
(٣) الرسالة ص٥١١
(٤) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي، ٣/ ٣٥١-٣٦٣، دار المعرفة، بيروت، حسن التنبه لما ورد في التشبه، نجم الدين الغزي، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، ٧/ ٤٠٦-٤٠٧، دار النوادر، سوريا، ط١،١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

له أن يقول أيضاً بقياس؛ لأنه قد يذهب عليه عقْلُ المعاني"[١]. ويقول: "وقد يحمل الفِقْهَ غيرُ فقيه يكون له حافظاً، ولا يكون فقيهاً"[٢]. وهذه قاعدة جوهرية ناشئة عن رجال لهم شدْوٌ محدودٌ، وبعض اطلاعٍ في علم معين، وكانوا يُردّدون مصطلحاتِ هذا العلم، فعلى هؤلاء ألَّا يَتَسَرَّعوا بأحكامهم قبل أوان النضج، وتَقْوية العود. ولكن ما نتيجة التسرّع إلى القول من دون أرض صلبة يَطَؤُها ويستند إليها؟ يقول: "ولو قال بلا خبرٍ لازمٍ وقياسٍ كان أقرب من الإثم الذي قال وهو غير عالم"[٣]. فلا فرق عند الشافعي بين عالم يروي ويُخبر ويتحدث في مسائل علمية، بيد أنه غيرُ مصيبٍ فيها؛ لأنه ينطلق من فراغٍ عاصفٍ، ودلائلَ ضعيفة، وآثارٍ مطعون فيها، فلا فرق عند الإمام بين هذا العالِم وغيره من الجهلة الذين لا حظّ لهم في العلم، فيَهْرِف بما لا يَعْرِف[٤].

ويدعو الإمامُ طلبةَ العلم والسالكين في دروبه أن يستثمروا نعمة العقول التي مَنَّ الله بها عليهم؛ إذ بها يهتدي مَنْ وفَّقَه اللهُ إلى سَبْر المشكلات، ومعرفه مفاتيح حَلِّها. يقول: "إن الله مَنَّ على العباد بعقولٍ، فدلّهم على الفرق بين المختلِفِ، وهداهم السبيلَ إلى الحق نصّاً ودلالة"[٥].

---

(١) الرسالة ص٥١١

(٢) الرسالة ص٣٩-٤١

(٣) الرسالة ص٥٠٨

(٤) انظر: مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، تحقيق وإشراف ندوة مالك بن نبي، ص٧٥، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٤، ١٩٨٤م، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، ١٥/ ٧٥-٧٦، دار الفكر، دمشق، سورية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٥) الرسالة ص٥٠١

ويُذَكِّر الإمامُ مَنْ عَزَم على النهوض بمسؤولية العلم بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الجهد والاستقصاء، والحرص على طلب الحجة والدليل(١). فالداعية العالم الفقيه يجب عليه الاجتهاد في طلب العلم، والشوق إليه، وبذل جميع الأسباب في طَلَبِه(٢). كما ينبغي أن يتصف بالفهم لما عنده، ويتنبّه على حقيقة معاني ألفاظ القرآن والحديث ويقف عليها، وإن أراد القياس فينبغي أن يُعَرِّف بالنظائر في الأحكام والمسائل ويميزها(٣).

يقول الشافعي رحمه الله في هذا المعْرِض: "إذا أمر النبيُّ بالاجتهاد أبداً لا يكون إلا على طَلَب شيء، وطلبُ الشيء لا يكون إلا بدلائل"(٤)، ثم يقترح عليهم أن يَنْشَطوا في طلب القياس للوصول إلى هذه الدلائل، وكثيراً ما نقرأ في كتاب "الرسالة" حَثَّ طلبة العلم على أن يؤهلوا أنفسهم لتقوى الأواصر بينهم، وبين موارد العلم المتعددة يقول: "كان على العالم ألَّا يقول إلا من جهة العلم، وجهةُ العلم الخبر اللازم بالقياس لا بالدلائل"(٥).

ثم نجد الإمام الشافعي في مواضع من رسالته يُنير الطريق أمام السالكين في دروب العلم، ويُبيّن لهم الطرق، ويفتح المغاليق أمامهم، فلم يَبْقَ أمامهم إلا أن

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ١/ ٥٠، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٢) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، علي بن حزم، ٥/ ١٢١-١٤٠، دار الآفاق الجديدة، بيروت، مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ٢٠/ ٢١٢-٢١٦، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ١/ ٥٠-٥٣

(٣) انظر: الإحكام في أصول الأحكام ٥/ ١٣١

(٤) الرسالة ص٥٠٥

(٥) الرسالة ص٥٠٧

يُشَمّروا عن ساعد الجدّ والتحصيل. يقول: "ولا يقيس إلا مَنْ جَمَع الآلة التي له القياسُ بها، وهي العلم بأحكامِ كتابِ الله وفرضِه وأدبِه وناسخِه ومنسوخِه وعامِّه وخاصِّه وإرشادِه، ويستدل على ما احتمل التأويل منه بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا لم يجد سنة، فبإجماع المسلمين، فإن لم يكن إجماع فبالقياس، ولا يكون له أن يقيس حتى يكون عالِماً بما مضى قبله من السنن وأقاويلِ السلفِ، وإجماعِ الناس واختلافِهم"(١).

ويُقرّر الشافعي أن الناس في العلم طبقات، موقعُهم من العلم بقَدْر درجاتهم في العلم به، ويُوصي الإمامُ طلبة العلم ببلوغ غاية جهدهم في الاستكثار منه، والصبرِ على العَوارض التي تقف أمام الاستزادة منه، وعليهم إخلاصُ النية لله، وسؤالُ ربهم العونَ على طلبه(٢).

ويمضي الإمام في تشجيعه لطلاب العلم، فيبسط لهم الحديث عن ثمار يانعة لا يجنيها أو ينتفعُ بها إلا مَن حَرَصَ على هذا السير الحثيث في هذا الطريق الغني بالمنافع والفوائد في الدارين. يقول رحمه الله: "مَنْ أدرك علمَ أحكام الله في كتابه نصاً واستدلالاً، وفّقه الله للقول والعمل بما علِمه، وفاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرّيَبُ، ونُوّرت في قلبه الحكمةُ، واستوجب في الدين موضعَ الإمامة"(٣).

(١) الرسالة ص٥٠٩
(٢) انظر: الرسالة ص١٩
(٣) الرسالة ص١٩

وثمرة طلب العلم الشرعي تربية النفس على العمل به، وتطبيقه، ليتصف العالِم بالعدالة. ويعرّف الشافعي مصطلح العدل بقوله: "هو العامل بطاعته فمَنْ رأوه عاملاً به كان عدْلاً، ومن عمل بخلافها كان خلافَ العدل"(١).

ويؤكّد الإمام القرافي أهمية اتصاف الداعية –عالماً كان أو قاضياً ونحوهما– بتطبيق العلم الشرعي ومطابقةِ أفعاله لأقواله، وإن تمّ له ذلك اتصف بالعدالة: "فالواجب على العالم المجتهدِ الانتصابُ والفتوى على الإطلاق، طابق قوله فعله أم لا، فإن كان موافقاً قوله لفعله حصل الانتفاع والاقتداء به في القول والفعل معاً، أو كان مَظِنَّة للحصول؛ لأن الفعل يصدِّق القول أو يُكَذِّبه. وإن خالف فعلُه قولَه: فإما أن تؤدّيَه المخالفة إلى الانحطاطِ عن رتبة العدالة إلى الفسق أو لا، فإن كان الأول فلا إشكال في عدم صحة الاقتداء، وعدم صحة الانتصاب شرعاً، وعادة، ومَن اقتدى به كان مخالفاً مثلَه فلا فتوى في الحقيقة ولا حكم، وإن كان الثاني صحَّ الاقتداء به واستفتاؤه وفتواه فيما وافق دون ما خالَفَ"(٢).

ومن أهم ما يلزم طالب العلم الشرعي العناية به: اللسان العربي المبين(٣)؛ إذ به يستطيع الوقوف على دقائق الوَحْيين، وفهمَ ما غَمُض من ألفاظهما، وبه يُوصِل ما يودّ إيصالَه من علم نافع للمدعو. ولا يخفى على أحد أن على الداعية العنايةَ بالخطاب الدعوي، ليس من حيث المضمونُ العلمي فقط، بل من حيث الأسلوبُ

(١) الرسالة ص٣٨

(٢) أنوار البروق في أنواء الفروق، أحمد بن إدريس القرافي، ٢/ ١٣٥، عالم الكتب، وانظر: الموافقات، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ٥/ ٢٩٩، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧ م.

(٣) انظر: الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، عطية صقر، ص١٥٤–١٥٥، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، مصر، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

البيانيُّ المؤثر، ولضمان قوة لغته وفصاحته لَزِمه الاطلاع الدائم على نصوص اللغة، ومصادرها البيانية من لسان العرب؛ لتكون لغةُ خطابه سليمةً تؤثر في القلوب والعقول.

وقد تميزت الرسالة بالأسلوب العربي الرصين المشرق، والعبارات التي تأتي في غاية الدقة والإبداع، فهو رجل قُرَشيٌّ، وفي عصر قريب جداً من عصر النبوة، وهو القرن الثاني الهجري، ويومها كانت اللغة والفصاحة والسليقة ما زالت خارج الحواضر الكبرى، كما أنه عاش مع الأعراب حتى تشبّه بهم، ولا غريب أن يخرج بهذه اللغة، وقد عُنِيَ في رسالته باللغة العربية الفصيحة، ولهجاتها ومعارفها. ويلاحظ أن اللغة التي يكتب بها الشافعي هي لغة متأثرة بالقرآن إلى حد بعيد، فهو من الأفراد الذين ارتبطوا بالنص القرآني ارتباطاً عميقاً، فأحياناً يأتي بالمبتدأ ولا يأتي بالخبر، وأحيانا يأتي بالتساؤل ولا يأتي بالجواب، وكل ذلك وَفق قواعد البلاغة وضوابط البيان.

قال عنه يحيى بن هشام النحوي: "طالت مجالستُنا لمحمد بن إدريس الشافعي فما سمعت منه لَحْنة قط، ولا كلمةً غيرُها أحسنُ منها"(١). وقال عبد الملكِ بنُ هشامٍ النَّحْويُّ: "الشافعي كلامه لغة يُحتجّ بها"(٢).

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، ٩/ ١٢٨، مطبعة السعادة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

(٢) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تاج الدين السبكي، تحقيق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ١/ ١٠٧، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

ومن المعروف المتواتر عن الإمام الشافعي اطلاعُهُ الواسع على لسان العرب، ودقائق اللغة، ومظانّ الفصاحة، وقد قرر في الرسالة أن "لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسانٌ غيرُ نبي"(١).

وقد أوصى الإمام الشافعي أهلَ العلم بدراسة لغة العرب، وأن يبذلوا الجهد في التعرف على نصوصها ومفرداتها واكتسابها، ولهذا الجهد فائدة مرجوة لفهم القرآن والسنة، وتذوُّقِ أسرارها ودلالاتهما. قال رحمه الله: "ومن جِماع علمِ كتاب الله العلمُ بأن جميع كتاب الله إنما نزل بلسان العرب"(٢)، ويقول: "فعلى كل مسلم أن يتعلمَ من لسان العرب ما بلغه جُهدُه حتى يشهد بأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله"(٣). وقال: "إن القُرآن نزل بلسان العرب دون غيره، فلا يعلم مِن إيضاح جُمَل عِلْم الكتاب أحدٌ جَهِل سَعَة لسان العرب، وكثرةَ وجوهِه وجِماعَ معانيهُ، وتفرُّقَها، ومَن عَلِمَه انتفَتْ عنه الشُّبَهُ التي دخلت على من جَهِل لسانها، فكان تَنْبيه العامة على أن القُرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحةً للمسلمين"(٤).

ويقرر رحمه الله أن التقصير في هذا التعلم يحجبه عن متابعة العلم الشرعي، يقول: "وكذلك لو كان مقصّراً عن لسان العرب لم يكن له أن يقيس"(٥). وما أحرى الدعاةَ أن يُقوّموا ألسنتهم وأقلامهم حين يخاطبون الآخرين، وما أحراهم أن يُفيدوا من أسرار اللغة في بيانهم واستدلالهم.

---

(١) الرسالة ص٤٢
(٢) الرسالة ص٤٠
(٣) الرسالة ص٤٨
(٤) الرسالة ص٥٠
(٥) الرسالة ص٥١١

ويشير الإمام ابن رشد الحفيد إلى أهمية اللغة العربية للعلماء، وتأثيرها في جودة أدائهم فيقول: "فاللغة العربية تُعين الفقيه والمحدِّث والمفسِّر في فهم كتاب الله عز وجل، وسُنَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومَن قرأ بعمق في القواعد الفقهية وجد أن من العلماء من يُخرِّج بعض المسائل الفرعية على بعض المسائل اللغوية، فينبغي لطالب العلم أن يكون على وعي وإدراك بلغة العرب، وأن يتعلم علوم العربية مثل: النحو والصرف؛ لأنها تقوِّم اللسان من اللحن في الكلام. وكذلك: البلاغة التي تعين في تركيب الجمل، وضمّها إلى بعض[١]". ويؤكد ذلك ابن تيمية رحمه الله: "فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفةُ دلالةِ الألفاظ على المعاني"[٢].

ويحتاج الداعية إلى الأشعار الفصيحة لإحكام مسائل اللغة. وفي "الرسالة" أمثلة عديدة كان الشافعي يستشهد بهذه الأشعار. وللدعاة في هذا الإمام أسوة حسنة لِما للشعر من منزلة في علوم العربية والبيان[٣]. ومن الشواهد الشعرية التي ذكرها الشافعي في رسالته لمّا شرح لفظ "شطر" قولُ خُفاف بن نُدبة:

ألا مَن مبلغٌ عَمراً رسولاً وما تُغني الرسالة شطر عمرو.

وقولُ ساعدة بن جُوية:

أقول لأم زِنْباعٍ أَقيمي صدور العِيس شطرَ بني تميمِ[٤].

---

(١) بغية المقتصد شرح بداية المجتهد لابن رشد الحفيد، شرح: محمد بن حمود الوائلي، ٣/ ١٠٦١، دار ابن حزم، بيروت، لبنان

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ١١٦

(٣) انظر: الرسالة ص٣٥-٣٦

(٤) الرسالة ص٣٥

المبحث الرابع: التنويه بأهمية الوعظ والنصح

إن الداعية الذي يهتم بدعوته، ويبذل جهده في إنجاحها، وتحقيق أهدافها، لا بد أن يُعْنى بدراسة وسائلها وأساليبها، فهي أدواته الرئيسة، فإن أحسن استخدامها أفلح وفاز، وإن قصّر في ذلك لم يبلغ غايته المرجوَّةَ، ومن تلك الأساليب أسلوبُ الموعظة الحسنة(١)، ومن تلك الوسائل وسيلة النصيحة(٢).

والموعظة الحسنة هي: "العِبَر الجميلة التي جعلها الله حجة في كتابه، وذكّرهم بها في تنزيله"(٣)، وهي: "الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب"(٤).

والموعظة لم تُقيد بكونها حسنة إلا في سياق الأمر بالدعوة إلى الله تعالى؛ وذلك لأن الموعظة لمّا كان المقصود منها غالباً رَدْعَ نفس الموعوظ عن أعمال سيئة أو عن توقع ذلك منه، كانت مَظِنَّةً لصدور غلظة من الواعظ، ولحصول انكسار في نفس الموعوظ، ومن الوعظ الحسن إلانةُ القول، وترغيبُ الموعوظ في الخير(٥).

وهذا الأسلوب من الأساليب التي انتهجها القرآن الكريم في إثارة الدافع لقبول الحق، الذي يعتمد على تخويف الناس وترهيبهم من العذاب الأليم، وفي الوقت نفسه ترغيبُهم

---

(١) انظر في أهمية أسلوب الموعظة الحسنة: الدعوة، د. حمد العمار، ص١٦٣-١٦٤، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، د. عبد الرحيم المغذوي، ص٧٢٢-٧٢٣

(٢) انظر في أهمية وسيلة النصيحة: الدعوة، د. حمد العمار، ص٢٥-٢٧، نصوص الدعوة في القرآن الكريم، د. حمد العمار، ص١٠٩، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٢١/١٧

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ٥/ ٥٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥) مفهوم الحكمة في الدعوة، د. صالح بن عبد الله بن حميد، ص١٢، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.

في النعيم الدائم، وذلك لأن استخدامَ الترهيب وحدَه يؤدي إلى اليأس من رحمة الله، واستخدامَ الترغيب وحدَه يؤدي إلى التهاون والغفلة؛ لذا جمع القرآن بين الخوف والرجاء(١).

ويشير الإمام الشافعي في رسالته إلى أهمية هذا الأسلوب وذلك بذكر آيات القرآن التي أنزلها الله تعالى في سياق وعظِه بأخبار الأمم السالفة التي امتلكت أسبابَ القوة، ثم اجتاحتهم عقوبة الله بعد عصيانهم؛ تحذيراً من السير في طريقهم أو انتهاج نهجهم. يقول رحمه الله: "ووعظَهم بالأخبار عمن كان قبلهم ممن كان أكثر منهم أموالاً وأولاداً وأطولَ أعماراً وأحمدَ آثاراً، فاستمتعوا بخَلاقهم في حياة دنياهم فأذاقهم عند نزول قضائهم منایاهم، ونزلت بهم عقوبةٌ عند انقضاء آجالهم"(٢).

أما وسيلة النصيحة فهي: "كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادةً وفِعلاً"(٣). وهي: "الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهيُ عما فيه الفساد"(٤). والنصيحة وظيفة الرسل والأنبياء، وهي من أحب الأعمال إلى الله، كما أنها من أنواع الجهاد في سبيل الله(٥). والنصيحة ذات أهمية عظيمة عند ذوي الألباب؛ لأنها إرشاد إلى الصواب، وتوجيهٌ نحو العمل الصالح والأخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة، وهدايةٌ إلى ما يعود نفعه وفائدته على المنصوح بالسعادة والعز، كما أنها تبصيرٌ بالمضارِّ حتى لا يقعَ فيها مَن لا يعرفها(٦).

---

(١) انظر: القرآن وعلم النفس، د، محمد عثمان نجاتي، ط٢، ص١٥٦، دار الشروق، جدة، ١٤٠٥هـ.

(٢) الرسالة ص١٨

(٣) صيانة صحيح مسلم، ابن الصلاح، تحقيق موفق عبد الله عبد القادر، ص٢٢١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.

(٤) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ص٢٤١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

(٥) انظر: موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن، ٢/ ٢٠-٢١، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٦) موارد الظمآن لدروس الزمان، عبد العزيز بن محمد السلمان، ٣/ ٤٦٧، ط٣٠، ١٤٢٤هـ.

وقد أشار الشافعي رحمه الله إلى أهمية النصيحة، فبيّن حكمها، وشيئاً من ثمارها، وعَرَضَ قطوفاً من التوجيه النبوي حِيالَها. قال رحمه الله: "والنصيحة للمسلمين فرضٌ لا ينبغي تَرْكُه وإدْراكُ نافلة خيْرٍ لا يَدَعُها إلاَّ مَن سفِهَ نفسَه، وترَك موضع حظِّه، وكان يَجْمع مع النصيحة لهم قياماً بإيضاح حقٍّ، وكان القيام بالحق ونصيحةُ المسلمين من طاعة الله، وطاعةُ الله جامعةٌ للخَير. قال جرير بن عبد الله: "بايعه النبي صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم"(١). وعن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الدين النصيحة لله ولكتابه ولنبيه ولأئمة المسلمين وعامّتهم"(٢)"(٣).

وحريٌّ بالداعية أن يتفقّهَ بمسائل الأحكام الشرعية، ويُعنى بدراسة المنهج العلمي السليم، وتطبيقِهِ في الوعظ، والنصحِ في هذا المجال، فالداعية في أثناء نهوضه بقضايا الدعوة قد يواجه في مجتمعه أشكالاً عديدة من المعصية، وفي كتاب "الرسالة" إشاراتٌ لها. فلا بد أن يكون لديه الوعي العلمي الكافي لمواجهتها بما يناسب، ومن ذلك قولُ الشافعي: "ومَنْ فعلَ ما نُهي عنه وهو عالمٌ بنَهْيه فهو عاصٍ بفعلِه ما نُهي عنه. ولْيستغْفِرِ الله ولا يعود"(٤). فالمدعوّ قد يجترئ على فعلِ أمرٍ مَنْهيٍّ عنه، وهو مُدْرِكٌ للنهي، والمدعو بذلك عاصٍ. وعليه أن يستغفر الله، وينبغي ألا يعودَ إلى فعلِه، كما ينبغي للمسلم أن يبتعد عن شؤم المعاصي وآثارها السيئة. ولهذه المعاصي درجاتٌ بعضها أعظم من بعض، كما يقرر الإمام الشافعي(٥).والمدعو في أمسّ الحاجة لداعية يبذل له الوعظَ والنصحَ، بمنهج سديد يردّه إلى صراط الله المستقيم.

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٧٥، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم ٩٨.
(٢) صحيح مسلم ١/ ٧٤، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم ٩٥.
(٣) الرسالة ص٥٠.
(٤) الرسالة ص٣٥٣.
(٥) الرسالة ص٣٥٤.

وفي معرِض الترغيب في الطاعات والترهيب من المعاصي، يشير الشافعي إلى ضرورة تقدير مقدار الخير والشر اللذين يلحقان المسلم إن فعل شيئاً منهما، ومثقالُ الذرة منه ما يحاسب لأجله، فكيف إذا كان عملُه أكثرَ من هذا المثقال، فليضعِ المسلم ذلك في الحُسْبان، فلا يستصغر معروفاً، ولا يحقِر منكراً، فالذرَّة محسوبة له أو عليه في رصيد حسناته وسيئاته، ولكلٍّ وزْنه في ميزان الله. فقد غفر الله لبَغِيٍّ سقت كلباً[١]، وأدخل امرأةً النارَ لحبْسِها هرة[٢]، يقول رحمه الله: "قال الله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾[٣]، فكان ما هو أكثرُ من مثقال ذرةٍ من الخير أحمدَ، وما هو أكثرُ من مثقال ذرةٍ من الشر أعظمَ من المأثم"[٤].

(١) حديث: "بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغفر لها به" صحيح البخاري ٤/ ١٧٣، برقم ٣٤٦٧، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان.

(٢) حديث: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» صحيح البخاري ٤/ ١٣٠، برقم ٣٣١٨، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم.

(٣) سورة الزلزلة: الآيات ٧-٨

(٤) الرسالة ص٥١٥

المبحث الخامس: وسيلة التعليم

وسيلة التعليم من الوسائل الهامة التي لا غنى للداعية عنها، لأن الدعوة بدون تعليم تبقى كلمات مثالية توجيهية، ولن يستفيد المدعوُّ منها إلا بتطبيقها في واقع حياته العملية، وهذا هو دور الداعية، ويكمن هذا في تعليم المدعو بالطريقة الصحيحة الفاعلة، وبذلك يجتمع عنده كلٌّ من العلم والعمل.

ولقد بَيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فَضْلَ من عَلِم وعَلّم فقال: "مَثَلُ ما بعثني الله به من الهدى والعلم، **كمثل الغيث** الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نَقِيَّةٌ، قَبِلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادبُ، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقُوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعانٌ لا تُمسك ماءً، ولا تُنبت كلأً، فذلك مَثَلُ مَنْ فَقِه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلِم وعلّم، ومَثَلُ مَن لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلتُ به"(١).

وكتاب "الرسالة" للإمام الشافعي غني بأمثلة تطبيقية لوسيلة التعليم، استخدم فيها الإمام رحمه الله عددا من الطرق الناجعة في العملية التعليمية. ومن هذه الطرق:

١-الحوار والمناقشة(٢):

الحوار: أن يتناول الحديثَ طرفان أو أكثر، عن طريق السؤال والجواب، بشرط وَحْدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى

---

(١) صحيح البخاري، ٤٢/١، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلّم، برقم ٧٩

(٢) للاستزادة انظر: الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين، د. سعيد إسماعيل صيني، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، أدب الحوار في الإسلام، سيف الدين =

نتيجة، وقد لا يُقْنِع أحدُهما الآخرَ، ولكن السامع يأخذ العبرة ويُكوّن لنفسه موقفاً[١]. والحوار من طرق التعليم، فمن القواعد العلمية أن يؤتى بما يراد رسوخه في صورة السؤال والجواب؛ ليكون أوقعَ في النفوس[٢].

وقد ورد في القرآن الكريم الكثيرُ من الحوارات، كحوار الله تعالى مع الملائكة في موضوع خَلْق آدم[٣]، وحوارِ الأنبياء مع أقوامهم[٤]؛ توجيهاً منه سبحانه وتعالى إلى أهمية هذا الوسيلة، ودورها في الإقناع والتأثير.

واستخدم النبي صلى الله عليه وسلم الحوار وسيلة فاعلة ومؤثرة في تعليم أصحابه أمورَ دينهم، وأمورَ دنياهم. ومن شواهد ذلك: الحوار الذي جرى بين النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام عندما سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان[٥]، وكانت طريقتُه مُشَوّقةً، ساهمت في شدّ انتباه الصحابة، وتهيئة الجو المناسب لهم للتلقي، والفهم، والمتابعة.

ومن أمثلة التعليم بالحوار والنقاش في كتاب "الرسالة": قال الشافعي: "فقال لي قائل: ما العِلْمُ وما يَجِبُ على الناس في العلم؟ فقلت له: العلم عِلْمان: علمُ عامَّةٍ

شاهين، مطبعة عمار، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، الحوار آدابه ومنطلقاته، محمد خوجة، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، ط٣، ١٤٣٨هـ، أدب الحوار في الإسلام، غسان عبد العزيز القين، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، ص١٦٧، دار الفكر، ط٢٥، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ١١/ ١٥٥

(٣) انظر: سورة البقرة: الآيات ٣٠-٣٣

(٤) انظر: سورة الأعراف: ٥٩-٩٢

(٥) انظر: صحيح البخاري ١/ ١٩، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان، برقم ٥٠

لا يَسَعُ بالِغاً غيرَ مغلوب على عقْلِه جَهْلُه. قال: ومِثْل ماذا؟ قلت: مثلُ الصَّلَوَاتِ الخمسِ، وأن لله على الناس صومَ شهْر رمضان، وحجَّ البيت إذا استطاعوه، وزكاةً في أموالهم وأنه حرَّمَ عليهم الزِّنى والقتْلَ والسَّرِقةَ والخمْرَ، وما كان في معنى هذا مِمَّا كُلِّفَ العِبادُ أنْ يَعْقِلوه ويعْملوه ويُعْطُوه مِن أنفسهم وأموالهم، وأن يَكُفُّوا عنه ما حَرَّمَ عليه منه. وهذا الصنف كله من العلم موجودا نَصّاً في كتاب الله ومَوْجوداً عامًّا عنْد أهلِ الإسلام، ينقله عَوَامُّهم عمَّن مضى من عوامِّهم يَحْكونه عن رسول الله، ولا يتنازعون في حكايته، ولا وجود به عليهم. وهذا العلم العام الذي لا يمكن فيه الغلطُ مِن الخبر ولا التأويلُ ولا يجوز فيه التنازعُ.

قال: فما الوجه الثاني؟ قلت له: ما يَنُوبُ العِبادَ مِن فُروع الفرائض، وما يُخَصُّ به مِن الأحكام وغيرها مما ليس فيه نصُّ كتابٍ ولا في أكثره نصُّ سنة. وإن كانت في شيء سنة، فإنما هي من أخبار الخاصة لا أخبارِ العامَّة، وما كان منه يَحتمل التأويلَ، ويُسْتَدْرَكُ قِياسًا. قال فيَعْدُو هذا أن يكون واجِباً وجوبَ العلم قبله أوْ مَوْضوعاً عن الناس علمُه حتى يكون علمه متنفّلاً، ومَنْ تَرَكَ علْمَه غيرَ آثِمٍ بِتركه أو مِنْ وَجْهٍ ثالثٍ فتُوجِدُناهُ خَبَرًا أو قياسا؟ فقلت له: بل هو مِن وجه ثالثٍ. قال: فصِفْهُ، واذْكر الحُجَّةَ فيه ما يَلْزَمُ منه، ومَنْ يَلْزَمُ، وعمَّنْ يَسْقُطُ. فقلت له: هذه درجةٌ مِن العلم ليس تَبْلُغُها العامَّةُ، ولم يُكَلَّفْها كلُّ الخاصَّة، ومَن احتمل بلوغَها مِن الخاصة، فلا يَسَعُهُمْ كلَّهم كافةً أن يُعَطّلوها، وإذا قام بها مِن خاصَّتِهم مَنْ فيه الكفايةُ، لم يَحْرَجْ غيرُه ممَّن تَرَكَها إن شاء الله، والفضْل فيها لمن قام بها على مَنْ عَطَّلَهَا"[1].

(١) انظر: الرسالة ص٣٥٧-٣٦٠

٢-الفَنْقُلات:

الفنقلات: هو أسلوب تعليمي اشتهر عند العلماء المتقدّمين والمتأخّرين، وفيه يعمد المؤلف إلى إثارة أسئلة على لسان سائلٍ، ثم يُجيب عنها إجابات وافية شافية تُزيل الإشكال واللَّبس من ذهن السائل، ومن العلماء المتقدّمين الذين اشتهروا به الإمام بدر الدين العيني في كتابه: "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، ومن المعاصرين الشيخ ابن عثيمين في دروسه ومحاضراته.

والشافعي رحمه الله في مصنَّفه "الرسالة" استخدم هذا الأسلوب التعليمي للتشويق إلى الفكرة العلمية، وتسهيل إيصالها للمتعلم. ومن الأمثلة على فنقلاته في "الرسالة":

"قال: "أَفَرَأَيْتَ لَوْ قال قائل: حَيْثُ وَجَدْتُ القُرآن ظاهِراً عامّاً، ووَجَدْتُ سنةً تحْتَمِلُ أنْ تُبَيِّنَ عَن القُرآن، وتحتملُ أن تكون بخلاف ظاهره عَلِمْتُ أنَّ السنةَ منسوخَةٌ بالقُرآن؟ فقلتُ له: لا يقولُ هذا عالِمٌ. قال: وَلِمَ؟ قلتُ: إذا كان الله فَرَضَ على نبيه اتِّباعَ ما أنزل الله إليه، وشَهِدَ له بالهُدَى، وفرض على الناس طاعَتَه، وكان اللِّسانُ كما وَصَفْتُ قبل هذا مُحْتَمِلاً للمعاني، وأن يكون كتابُ الله يَنْزِلُ عامًّا يُرَادُ به الخاصَّ وخاصاً يراد به العام، وفرضاً جملةً بيّنه رسول الله، فقامت السنةُ مع كتاب الله هذا المقامَ، لم تكن السنةُ لِتُخَالِفَ كتابَ الله، ولا تكونُ السنةُ إلا تَبعاً لِكتاب اللهِ بِمِثْلِ تَنْزِيلِه أو مُبَيِّنَةً معنى ما أرادَ اللهُ فهي بكل حالٍ مُتَّبِعَةٌ كتابَ اللهِ. قال أَفَتُوجِدُنِي الحُجَّةَ بما قلتَ في القُرآن؟ فذكَرْتُ له أنَّ الله فَرَضَ الصلاةَ والزكاة والحجَّ فَبَيَّنَ رسولُ اللهِ كيفَ الصلاةُ وعَدَدَها ومواقيتَها وسُنَنَها وفي كَمِ الزكاةُ مِن المال، وما يَسْقُطُ عنه مِن المالِ، ويَثْبُتُ عليه، ووقتَها، وكيف عَمَلُ الحجِّ، وما يُجْتَنَبُ فيه ويُبَاح"[١].

(١) الرسالة ص٢٢٢-٢٢٥

ففي هذا النص استخدم الشافعي رحمه الله أسلوب "الفنقلة" بأن افترض أن سائلاً سأله عن لَبسٍ وقع عنده أن السنة قد تُنسخُ بالقرآن، فوضّح له أن ذاك كلام غير دقيق، ثم فصّل له المسألة بحجة عقلية، ثم حجة نقلية، ولا يخفى أن في هذا الأسلوب إثارةً للعقل، وتشويقاً، ومن ثَمَّ إزالةٌ للَبْسِ أو شبهة، وإقناعاً بالحكم بإيضاحه وبيانه.

٣-الجمع بين الأدلة النقلية والعقلية:

يحرِص المسلم على الاستجابة التامة للأوامر الشرعية في نصوص الوحيين، كما يحرِص على فهم دقائقها ومسائلها بتحكيم عقله عن طريق طلب العلم، وفهم المعاني، وسؤالِ أهل العلم المتخصصين، فالإسلام يحث على الجمع بين المنهجين النقلي والعقلي، ولا تعارض بينهما(١). وبناءً على هذا لا تفاضلَ بين هذين المنهجين، فالتكامل بين العقل والنقل يُعَدُّ تأكيدًا لشمولية النهج الإسلامي الذي يُعطي قيمةً للعقل في فهم الدين، وتطبيق تعاليمه، بما يناسب الزمان والمكان.

وفي كتاب "الرسالة" نلحظ بجلاء حِرْص الإمام الشافعي على الجمع بين الأدلة العقلية والنقلية في إيضاح ما يودّ بيانه من مسائل عَقَدية وفقهية؛ وذلك لإقناع القارئ بتفاصيل الأحكام والمسائل، فيطمئن قلبه إلى ما ذهب إليه من رأي حول القضايا المعروضة.

ومن الأمثلة على جَمْعه بين العقل والنقل في إحدى المسائل: "فإن قال قائل: ما الحجة في أن كتاب الله محضٌ بلسان العرب لا يخْلِطُه فيه غيره؟ فالجواب أن

(١) انظر كتاب: درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

الحجة فيه كتابُ الله. قال الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(١). فإن قال قائل: فإن الرسل قبل محمد كانوا يُرسلون إلى قومهم خاصة، وإنّ محمداً بُعث إلى الناس كافة، فقد يحتمل أن يكون بُعث بلسان قومه خاصة، ويكونَ على الناس كافة أن يتعلموا لسانه وما أطاقوا منه، ويحتمل أن يكون بُعِث بألسنتهم. فهل من دليل على أنه بعث بلسان قومه خاصة دون ألسنة العجم؟ فالإجابة: أنه إذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض فلا بُدّ أن يكون بعضهم تبعاً لبعض، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع. وأولى الناس بالفضل باللسان مَنْ لسانُهُ لسانُ النبي، ولا يجوز والله أعلم أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسانٍ غيرِ لسانه في حرف واحد، بل كلُّ لسان تَبَعٌ للسانه، وكلُّ أهل دين قبله، فعليهم اتّباع دينه، وقد بيّن الله ذلك في غير آية من كتابه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِين * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِين * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِين﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾"(٣)(٤).

فالشافعي رحمه الله في هذا النص استطاع أن يُقنع السائل بالدليل العقلي والنقلي بأن القرآن الكريم نزل بلغة عربية فصيحة، ولم تُخالطْهُ أية لغة أخرى، وقد حاول ذاك السائلُ أن يناقش الشافعي ببعض الحجَجِ، ولكنه لم يُفلح لقوة الدليل العقلي الذي ساقه الشافعي، ومناسبة دليله النقلي.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤

(٢) سورة الشعراء: الآيات ١٩٢-١٩٥

(٣) سورة الرعد: الآية ٣٧

(٤) الرسالة ص٤٥-٤٦

الخاتمة

جاء هذا البحث في خمسة مباحثَ، تناولتُ فيه قضايا الدعوة في كتاب "الرسالة" للإمام الشافعي، ففي المبحث الأول تحدثتُ عن موضوع العقيدة، وفي المبحث الثاني عن منزلة الوحيين، أما المبحث الثالث فعن العلم الشرعي وصلته بالدعوة والداعية، وفي المبحث الرابع تناولتُ أهمية الوعظ والنصح، وفي المبحث الخامس وسيلة التعليم.

وقد حاولتُ في هذا البحث أن أستفيد من جهود عالم جليل، نبغ في علوم الشريعة، وتبحّر فيها، وقدّم للأمة كتاباً له صيته الواسع في علم أصول الفقه، وحاولت استخراج بعضٍ من كنوزه الدعوية، واستنباطاته النافعة في هذا المجال، وآمل أن أكون قد بلغتُ ما أردتُه.

وفي ختام البحث أودّ أن أشير إلى أهمية التأصيل العلمي للدعوة ومناهجها وأسلوبها ووسائلها، والإفادة من جهود العلماء المتقدّمين على مختلف المجالات الشرعية المتنوعة. والحمد لله رب العالمين.

نتائج البحث

١-الإفادة من جهود أحد علماء السلف البارزين، وهو محمد بن إدريس الشافعي، الذي كان له إضاءات وفوائد دعوية، يمكن استنباطها من مصنّفه "الرسالة" الذي ألّفه رحمه الله في علم الأصول.

٢-يضع الداعية موضوع العقيدة في أعلى درجة في سلم أولويات دعوته؛ لأنه الأساس القويم الذي تقوم عليه الدعوة، وبصلاحها تصلح وتوفَّقُ، وبفسادها تفسد وتفشل.

٣-عناية الداعية بمصدرَي الوحي "القرآن والسنة"، والاهتمام بالأدوات التي تعينه على فهمها وتطبيقهما والدعوة إلى الالتزام بما شُرع فيهما من تشريعات وأحكام.

٤-الاهتمام بطلب العلم الشرعي، والتفقهِ في دقائقه؛ ليؤديَ الداعية مهمته على نور وبصيرة، فيضمن بذلك أفضل الأهداف المرجوة من دعوته.

٥-الموعظة الحسنة والنصيحة وسيلتان دعويتان لهما دور رئيس في إقناع المدعوين، والتأثير فيهم؛ لذا وجب على الداعية تطوير مهاراته فيهما، وتطبيق ذلك في الميدان الدعوي.

٦-وسيلة التعليم من أبرز الوسائل التي اعتنى بها علماءُ السلفِ والخلفِ في درب الدعوة المبارك، فأدَّوا بها زكاة ما نهلوه من علوم، وجَنَوا بها أطايب الثمار في الساحة الدعوية.

التوصيات

١- أوصي الأقسام الشرعية في الجامعات بتشجيع الأبحاث العلمية التي تسعى إلى الإفادة من جهود علماء السلف في العلوم الشرعية.

٢-تأصيل بعض قضايا علم الدعوة من خلال كتاب "الرسالة" فيه حثّ على متابعة هذا الطريق العلمي في دراسات أُخرى تنطلق من تراثنا المبارك في العلوم الشرعية المتنوعة من عقيدة وتفسير وحديث وفقه وأصوله.

٣-كما أُوصي المربّين من علماء، وأساتذة، ودعاة، بحثّ الأجيال على الإفادة من جهود علماء السلف، ودراسة مضمون مصنّفاتهم، والسير على دربهم.

****

قائمة المصادر والمراجع

-إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
-أدب الحوار في الإسلام، سيف الدين شاهين، مطبعة عمار، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
-أدب الحوار في الإسلام، غسان عبد العزيز القين، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
-إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
-أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، ط٢٥، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
-أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٦، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
-الإحكام في أصول الأحكام، علي بن حزم، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
-الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، د. عبد الرحيم المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
-البحث العلمي، حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته، عبد العزيز الربيعة، ١٧٨/١، ط٢، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٨هـ.

-البداية والنهاية، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٧/ ١٤٢٠هـ.

-التحرير والتنوير من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

-التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

-التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

-الحديث والمحدثون، محمد محمد أبو زهو رحمه الله، ط١، دار الفكر العربي، ١٣٧٨ هـ/١٩٥٨م.

-الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.

-الحوار آدابه ومنطلقاته، محمد خوجة، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، ط٣، ١٤٣٨هـ.

-الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين، د. سعيد إسماعيل صيني، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

-الدعوة فئة المتخصصين في العلوم الشرعية، د. حمد بن ناصر العمار، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
-الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، عطية صقر، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، مصر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
-الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.
-الفقه الإسلامي وأدلته، د. وَهْبَة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، سوريَّة، دمشق، ط٤.
-القرآن وعلم النفس، د، محمد عثمان نجاتي، ط ٢، دار الشروق، جدة، ١٤٠٥ هـ.
-المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود المُظْهِري، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية، وزارة الأوقاف الكويتية، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
-الموافقات، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧ م.
-أنوار البروق في أنواء الفروق، أحمد بن إدريس القرافي، عالم الكتب.
-بغية المقتصد شرح بداية المجتهد لابن رشد الحفيد، شرح: محمد بن حمود الوائلي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
-تاريخ دمشق، علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، دراسة وتحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

-تهذيب الأسماء واللغات، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠ م.

-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، توزيع: دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

-جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

-حسن التنبه لما ورد في التشبه، نجم الدين الغزي، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط١،١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، مطبعة السعادة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

-درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

-رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تاج الدين السبكي، تحقيق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

-سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
-سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
-شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، محمود محمد مزروعة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
-شبهات القرآنيين، عثمان بن معلم محمود بن شيخ علي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
-صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ.
-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
-صفة الصفوة، عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
-صيانة صحيح مسلم، ابن الصلاح، تحقيق موفق عبد الله عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.
-طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.

-فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ط١، ١٣٨٠/١٣٩٠ هـ.
-مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
-محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبد الرؤوف محمد عثمان، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
-مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، أبو يعقوب المروزي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٢م.
-مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، تحقيق وإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٤، ١٩٨٤م.
-معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
-مفهوم الحكمة في الدعوة، د. صالح بن عبد الله بن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.
-مقدمة في أصول التفسير، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.

-مناقب الشافعي، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
-مناهج البحث العلمي، د. محمد سرحان العمودي، دار الكتب، اليمن، صنعاء، ط٣، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م.
-موارد الظمآن لدروس الزمان، عبد العزيز بن محمد السلمان، ط٣٠، ١٤٢٤هـ.
-موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
-نصوص الدعوة في القرآن الكريم، د. حمد العمار، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
-وفيات الأعيان، أحمد بن خلكان تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧١م.

فهرس الموضوعات

المحتويات

ملخص البحث: - ٧٢٤
مقدمة ٧٢٦
منهج البحث: ٧٢٨
الدراسات السابقة: ٧٢٩
تساؤلات البحث: ٧٣٠
المبحث الأول: موضوع العقيدة ٧٣٦
المبحث الثاني: منزلة الوَحْيين ٧٤٣
المبحث الثالث: العلم الشرعي وصلته بالدعوة والداعية ٧٥٤
المبحث الرابع: التنويه بأهمية الوعظ والنصح ٧٦٤
المبحث الخامس: وسيلة التعليم ٧٦٨
الخاتمة ٧٧٤
نتائج البحث ٧٧٤
التوصيات ٧٧٥
قائمة المراجع ٧٧٦
فهرس الموضوعات ٧٨٣